

وما سواها (302)



العقل بأمة يتعقلون!! (1)

د. صادق السامرائي

الطبيب النفسي، العراق / أمريكا

العقل هبة الخالق للمخلوق وعليه تترتب واجبات وبوجوده يكون الحساب والعقاب والثواب ، فالعقل مفتاح السلوك ، ومنطلق التفاعلات القائمة بين المخلوقات الساعية فوق التراب ، وللعقل آلياته واسراره وقدراته على التبصر والإدراك.

وبما أن المرء بعقله ، فالكينونة الحقيقية عقلية متصلة بقدرات الوعي والمعرفة ، والتوصل إلى مفازات اليقين الإشرافية الفياضة بالأنوار العلوية.

وللعقل مميزاته وتطلعاته وطاقاته الإستيعابية والتأملية ، ووفقا لذلك سنبحث في تلافيف العقل وما يستحضره بزوايا نظره وإستبصاره للأمور والتحديات.

أولا: العقل والإعتقاد!!

يبدو أن إقحام العقل بالإعتقاد وكأنه إنحراف إدراكي وإضطراب سلوكي تترتب عليه نتائج ذات تداعيات وخيمة وأليمة.

فهل أن الإعتقاد يتصل بالعقل!؟

لو تأملنا الإعتقادات والمعتقدات بأنواعها لتبين لنا أنها تشترك بكونها ذات صلة متنوعة بالغيب ، ووفقا لما تستحضره من وعي لذلك الغيب وما ينجم عنه من آليات طقوسية تساهم في تحقيق الطمأنينة والشعور بالأمان.

ولهذا فإن المعتقدات البشرية لا تعد ولا تحصى وهي في تزايد مع تنامي أعداد البشر ، وهذه المعتقدات أيضا تشترك في أنها لا يمكن إخضاعها لسلطة العقل ، بل العكس ، أي أن على العقل أن يكون مملوكا لها ومجتهدا في إبتكار التبريرات لترسيخها ، وتأمين قوتها ودورها الفاعل في حياة المعتقدين بها.

فلو أخضعنا أي معتقد لبرهان وسلطان العقل لإتضح بهتانه وإمعانه بما هو غيبي وبعيد عن المنال ، لكنه راسخ في الأعماق على أنه كائن وموجود.

فعلى سبيل المثال لا يمكن الإقناع العقلي لشخص يعتقد بالبقرة والفأرة والثعلب ، أو يرى أن هذا الكائن ربه وهو الذي سيأخذه في عالم الغيوب إلى حيث يريح ويرغب ، بل يستحيل هذا التفاعل والإقناع.

ذات مرة سألت صديقي الياباني ونحن نتجول في مدينة كايكو اليابانية عن كثرة المعابد وتوافد الناس إليها ، وكل معبد يعتقد برؤية ما ، فأجابني : إنها جزء من الفلكلور والسلوك اليومي الياباني ، لكنها لا علاقة لها بما نرى ونتصور ونفكر ، إنها مجرد وسائل للأمان الروحي وتمنحنا طاقة تواصل الحياة.

العقل هبة الخالق للمخلوق وعليه تترتب واجبات وبوجوده يكون الحساب والعقاب والثواب

لو تأملنا الإعتقادات والمعتقدات بأنواعها لتبين لنا أنها تشترك بكونها ذات صلة متنوعة بالغيب ، وتستحضره من وعي لذلك الغيب وما ينجم عنه من آليات طقوسية تساهم في تحقيق الطمأنينة والشعور بالأمان

أن المعتقدات البشرية لا تعد ولا تحصى وهي في تزايد مع تنامي أعداد البشر ، وهذه المعتقدات أيضا تشترك في أنها لا يمكن إخضاعها لسلطة العقل ، بل العكس ، أي أن على العقل أن يكون مملوكا لها ومجتهدا في إبتكار التبريرات لترسيخها ، وتأمين قوتها ودورها الفاعل في حياة المعتقدين بها.

ان السلوك الإعتقادي منقطع تماما عن العقل ، فالعقل منهج علمي سببي برهاني ، وهو جاد ومجتهد في سبيله الإختراعي والإبتكاري ، والإعتقاد حالة عاطفية جامدة متوارثة وكأنها

أن المجتمعات القوية قد أدركت هذه الحالة القائمة فيما , فحررت العقل وحررت الاعتقاد , فهي ذات الوقت , فالاعتقاد بسلوكياتها يمضي فيها , والعقل بقدراته فاعل فيها , ولا تقترب من الاعتقاد ولا تخضع لسلطة العقل

المسلمون مطالبون بترك الاعتقاد لمن يعتقدوه وأن يعملوا عقولهم بما يصلح لوجودهم المعاصر . وعليهم أن يوظفوا العقول في التفكير العلمي والبحث الجاد للوصول إلى حلول ذات قيمة نافعة لحاضرهم ومستقبلهم

إن حشر العقل في الدين لا يساهم بتعزيز الإيمان , وإنما لا بد من إتباع المنطوق الواضح الصريح الذي تنص عليه الآية الكريمة التالية: " ذلك الكتاب لأريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " البقرة

في واقعنا العربي , تركزت جهود مفكرينا الأجلاء على الدين والتأريخ والتراث , وحسبوا أن العلة فيهم وحسب , لكنهم حجزوا عن كتابة الرؤية المنهجة أو الواقعية أو المعالجة لهذا الداء الذي شذوه وتفعلوا مع أسبابه كل من زاوية نظره وقدراته الإدراكية والتحليلية

وفي كل بيت من بيوت اليابان هناك معبد صغير يتم التبارك به والصلاة أمامه عند كل صباح . في حينها أخذت أتأمل كيف يتحقق الفصل بين العقل والمعتقد .

وبدى وكأن الاعتقاد إنتماء عاطفي نفسي سلوكي منقطع عن الإرادة العقلية , وأي تدخل للعقل بالإعتقاد يتسبب بإنهيارات سلوكية تقاعلية مريرة ما بين الناس . وعدت إلى أمم وشعوب كالهند والصين ودول آسيا الشرقية , أقلب صفحات إعتقاداتها وسلوكياتها , فأتضح ان السلوك الإعتقادي منقطع تماما عن العقل , فالعقل منهجه علمي سببي برهاني , وهو جاد ومجتهد في سبيله الإختراعي والإبتكاري , والإعتقاد حالة عاطفية جامدة متوارثة وكأنها مغروزة بالفطرة البشرية .

ويبدو أن المجتمعات القوية قد أدركت هذه الحالة القائمة فيها , فحررت العقل وحررت الاعتقاد في ذات الوقت , فالاعتقاد بسلوكياتها يمضي فيها , والعقل بقدراته فاعل فيها , ولا تقترب من الاعتقاد ولا تخضع لسلطة العقل , وهذا يأخذنا إلى واقع المسلمين الذين إستنزفوا طاقاتهم العقلية في الدين . وقد كتبوا وألفوا وإجتهدوا وتفاعلو وتفرقوا وتمزقوا وتمذهبوا وأصبحوا فرقا وجماعات وطوائف , لأنهم قد حشروا العقل في المعتقد والدين .

أي أن المسلمين ربما قد إرتكبوا خطيئة كبيرة بإعمالهم العقل بما هو ديني , وأضاعوا جهود الأجيال بما لا ينفعها , ولا يزال المسلمون لا يتعلمون ولا يستطيعون إخراج العقل من الدين . فالمشكلة التي تواجه المسلمين هي عدم القدرة على فصل العقل عن الدين , وليس غير ذلك من الإقتربات والتوجهات والإدعاءات .

المسلمون مطالبون بترك الاعتقاد لمن يعتقدوه وأن يعملوا عقولهم بما يصلح لوجودهم المعاصر . وعليهم أن يوظفوا العقول في التفكير العلمي والبحث الجاد للوصول إلى حلول ذات قيمة نافعة لحاضرهم ومستقبلهم .

ولن يكون العرب والمسلمون إذا تواصلوا في الإيمان بحشر العقل بالدين وهدر الطاقات والقدرات بالمعتقدات , ومن الواضح لا توجد أمة أمعنت بهذا السلوك أكثر من أمة المسلمين . فلن تجد عند أصحاب الديانات الأخرى مؤلفات وإجتهدات مثلما هو حاصل عند المسلمين . وعليه فمن الأصوب أن يدرك المسلمون أن الاعتقاد إنتماء بالعاطفة والقلب , وهو إيمان راسخ مسبق لا يحتاج إلى إعمال عقل .

وإن حشر العقل في الدين لا يساهم بتعزيز الإيمان , وإنما لا بد من إتباع المنطوق الواضح الصريح الذي تنص عليه الآية الكريمة التالية:

" ذلك الكتاب لأريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " البقرة 1, 2, 3
فهل سنحرم العقل من قبضة الدين , ونرحم ديننا بالإيمان لا بالعقل!!؟

ثانيا: من حطّل عقولنا!!؟

سؤال مطروح على الساحة المعرفية والثقافية العربية , وقد تصدى له المفكرون العرب وأسهموا بقراءاتهم وتحليلاتهم وما توصلوا إلى الحلول , مما يعني أن لا بد لنا من العودة إلى التشخيص , وهي قاعدة معمول بها في الطب , فعندما لا نجد دواءً صالحاً لمعاناة المريض نراجع التشخيص , أي هل أن

التشخيص كان صحيحا؟

وفي واقعنا العربي , تركزت جهود مفكرينا الأجلاء على الدين والتاريخ والتراث , وحسبوا أن العلة فيهم وحسب , لكنهم عجزوا عن كتابة الرؤية المنقذة أو الواقية أو المعالجة لهذا الداء الذي شخصوه وتفاعلوا مع أسبابه كلٌ من زاوية نظره وقدراته الإدراكية والتحليلية.

والمغفول في الموضوع أن الإقتراب أحادي النظرة , فعوامل تعطيل العقل العربي متنوعة ومتفاعلة مع بعضها , وما ركز عليها المفكرون العرب على مدى أكثر من قرن , ولم يشذ عنهم في القراءة إلا عبد الرحمن الكواكبي في أواخر القرن التاسع عشر والذي أهملت رؤيته وتؤكد ما يناهضها.

وعندما نجيب على السؤال بموضوعية وإقتراب أوسع تظهر الأسباب الجوهرية والفعالة فيه , ويأتي في مقدمتها الفشل في إقامة أنظمة حكم تحترم الإنسان بعقله وكيانه وحقوقه , وهذه الأنظمة وجدت ضالتها في لعبة أن الدين والتاريخ والتراث هما السبب في تعطيل العقل ومنع التقدم , بينما الخيار خيارهم.

ومن الأمثلة على ذلك أن أوروبا لم تنطلق بثورتها العقلية التنويرية , لولا أنه كان قرارا سياسيا لمواجهة هيمنة الكنيسة وزعزعة ثوابتها الفاتلة للعقل , وبعد صراع طويل إنتصر العقل وإنسأقت الكنيسة وراءه ومضت في تجديد ذاتها وموضوعها.

لم يكن الذين إتخذوا ذلك القرار على وعي أن التقدم ستصنعه حرية العقل , لكنهم وجدوا أن هناك حاجة لإستخدام العقل , لأنه يأتي بحلول وخيارات أفضل وأكثر عملية من قرارات الكنيسة وممثليها , التي لا ترى إلا القوة صراطا لتثبيت الهيمنة والسلطان.

وفي واقعنا نحتاج إلى قرارات سياسية شجاعة لتحرير العقل من القيود والمعوقات التي تصادره , وتحسب التفكير من المحرمات والبدع التي تدمر المعتقدات وما تداولته الأجيال وتمسكت به , وفقا لمسميات ومصطلحات سلبية غاشمة.

فمسؤولية تفعيل العقل تقع على عاتق أنظمة الحكم , التي هي بحد ذاتها تحتاج إلى أن تحرر عقلها من أوهامها الحزبية والعقائدية أولا , وبعدها تعمل على تحرير عقل المواطنين وإحترامه وتفعيله.

فكم من أصحاب الرأي في معتقلات الدول العربية ؟

وكم من الأبرياء تم القضاء عليهم بسبب تفعيلهم للعقل وإبدائهم للرأي؟

إن المشكلة سياسية أولا وأولا , وبعدها يمكننا أن نأتي بأسباب أخرى وجميعها ثانوية.

فعندما نتحدث عن الدين فواقعنا لا يختلف عن مجتمعات الدنيا الأخرى , فهي ذات دين وتراث وتاريخ , وما يختلفون به عنا , هو أنظمة حكمهم تؤمن بالعقل وبقيمة الإنسان وبقدرته على صناعة المستقبل الأفضل.

فأنظمتهم تعز الإنسان وتتفاخر به , وأنظمتنا تحقر الإنسان وتقهره لأنها تخافه!!

ثالثا: التآمر على العقل العربي!!

العقل العربي يتعرض لمؤامرات ثلاثة أساسية شديدة الهجمة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى , ومنها يتفرع ما لا يحصى من التآمرات , وفقا لمتواليات هندسية متواصلة التصاعد والتأثير في الواقع السلوكي العربي على عدة مستويات.

وقد لعب المفكرون العرب عن وعي أو غفلة في تعزيز هذه التآمرات , وكأنهم عندما درسوا في الجامعات الأجنبية قد تم إستهدافهم وتحضيرهم للقيام بالمهمة وهم لا يشعرون , إعتادا على نظريات

أن أوروبا لم تنطلق بثورتها العقلية التنويرية , لولا أنه كان قرارا سياسيا لمواجهة هيمنة الكنيسة وزعزعة ثوابتها الفاتلة للعقل , وبعد صراع طويل إنتصر العقل وإنسأقت الكنيسة وراءه ومضت في تجديد ذاتها وموضوعها

في واقعنا نحتاج إلى قرارات سياسية شجاعة لتحرير العقل من القيود والمعوقات التي تصادره , وتحسب التفكير من المحرمات والبدع التي تدمر المعتقدات وما تداولته الأجيال وتمسكت به

مسؤولية تفعيل العقل تقع على عاتق أنظمة الحكم , التي هي بحد ذاتها تحتاج إلى أن تحرر عقلها من أوهامها الحزبية والعقائدية أولا , وبعدها تعمل على تحرير عقل المواطنين وإحترامه وتفعيله

عندما نتحدث عن الدين فواقعنا لا يختلف عن مجتمعات الدنيا الأخرى , فهي ذات دين وتراث وتاريخ , وما يختلفون به عنا , هو أنظمة حكمهم تؤمن بالعقل وبقيمة الإنسان وبقدرته على صناعة المستقبل الأفضل

الدين أبصر الأمة وعمودها الفقري الأخلاقي والقيمي ومعيار سلوكها الحضاري المنير , وقد تحقق إستهدافه بإنشاء الأحزاب المسماة دينية , وقد بدأت اللعبة منذ الربع الأول من القرن العشرين أي بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى ببضعة سنوات

وقراءات أريد لهم أن يتخذونها منهجا للبحث والدراسة والكتابة.

أولاً: مؤامرة التاريخ

إستيقظ العرب بعد الحرب العالمية الأولى على دفق من الطروحات الفنتازية ، التي توله التاريخ وتقدسه وتحسب ما فيه حالات أبعد من الخيال ، فتم إضفاء الصفات السماوية على رموزه حتى تحقق إخراجهم من كونهم من البشر .

فمضت الأجيال تتحدث عن أسماء تألّهت وأصنّت بها أقوال ورؤى وتصورات لتكون من المسلمات ، التي عليها أن تحتل العقل العربي وتستعبده ، ولا يجوز الإقتراب منها ومساءلتها والنظر فيها ، فأصبحت الأجيال رهينة " قال وقال " ، والكثير من الأقوال مدسوسة ، لكنها تكررت مرارا فترسخت وتحولت إلى ثوابت مقدسة ، وبموجب ذلك إنقطعتم الأمة عن حاضرها ومستقبلها وتمترست في ماضيها .

ثانياً: مؤامرة الدين

الدين أبهر الأمة وعمودها الفقري الأخلاقي والقيمي ومعيار سلوكها الحضاري المنير ، وقد تحقق إستهدافه بإنشاء الأحزاب المسماة دينية ، وقد بدأت اللعبة منذ الربع الأول من القرن العشرين أي بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى ببضعة سنوات ، وتأسس أول حزب وتطور وتفرع وتوالدت منه أحزاب وأحزاب ، هدفها تشويه الدين ، وإستخدامه لقتل الدين بالدين ، ووفقا لذلك تعيش الأمة في محتدم التناحر والتصارع الذي يرفع رايات ألف دين ودين .

ثالثاً : مؤامرة اللغة

اللغة هوية الأمة وذاتها المشرقة ، ولكي تقضي عليها لا بد من إستهدافها ، ومن أعمدة اللغة العربية الشعر الموزون ، فتحقق العمل على تدميره بلعبة الحداثة والتسويق للشعر اللاموزون ، لكي يتشوه التفكير وتتخرب الرؤى ، وتعيش الأمة في مضطربات قاسية تكلفها المزيد من الخسائر الحضارية .

فالتفكير العربي الذي كان منظما ودقيقا أصابه الخلل والإهتزاز بسبب ما يُسمى بالشعر ، وما هو إلا نثر أبدعت العرب أرقى منه وأروع في زمن المعلمات وما قبلها .

والفوارق واضحة ومتنوعة ما بين الشعر والنثر ، ومن متطلبات المؤامرة أن يكون النثر شعرا ، وتأتي أجيال تنكر الشعر وتتوهم أن النثر العليل المعبر عن عاهات دماغية يمكن تشخيصها منه ، هو الشعر ، وبهذا تفقد الأمة أهم أدوات كينونتها وفكرها ومنطقها المتوافق مع آليات ما فيها من الإيقاعات النفسية والروحية والعقلية .

هذه إشارة مكثفة للمؤامرات الأساسية التي تتعرض لها الأمة ، ويساهم في تمريرها أبنائها الذين يتوهمون الدراية والمعرفة وهم في غفلتهم يعمهون وعلى الآخرين يعتمدون .

رابعاً: القوى العقلية والحالة النفسية للكواسي !!

الذي يجلس على كرسي السلطة والمسؤولية يجب أن يكون في تمام قواه العقلية وعافيته النفسية ، وأي إضطراب فيهما يوجب إبعاده عن الكرسي .

فالمجتمعات المتقدمة القوية تهتم بذلك وتترصد وتراقب المسؤولين ويتم تقييمهم عقليا ونفسيا ، وأي خلل أو إضطراب يدفع إلى مزيد من التقييم ، وربما المعالجة والتدخلات الأخرى لحماية المجتمع من الآثار الخطيرة المترتبة .

اللغة هوية الأمة وذاتها المشرقة ، ولكي تقضي عليها لا بد من إستهدافها ، ومن أعمدة اللغة العربية الشعر الموزون ، فتحقق العمل على تدميره بلعبة الحداثة والتسويق للشعر اللاموزون ، لكي يتشوه التفكير وتتخرب الرؤى ، وتعيش الأمة في مضطربات قاسية تكلفها المزيد من الخسائر الحضارية

الذي يجلس على كرسي السلطة والمسؤولية يجب أن يكون في تمام قواه العقلية وعافيته النفسية ، وأي إضطراب فيهما يوجب إبعاده عن الكرسي

المجتمعات المتقدمة القوية تهتم بذلك وتترصد وتراقب المسؤولين ويتم تقييمهم عقليا ونفسيا ، وأي خلل أو إضطراب يدفع إلى مزيد من التقييم ، وربما المعالجة والتدخلات الأخرى لحماية المجتمع من الآثار الخطيرة المترتبة

في المجتمعات المتأخرة ما أن يلامس مفهّد الشخص الكرسي حتى إكتسب القدسية والمعصومية من الخطأ وطار حالة فوق البشر

لو قرأنا التاريخ بعينون أخرى لوجدنا الكثير من الأعداء والتدابير قد نجمت عن خلل في القوى العقلية وبسبب إضطرابات نفسية وسلوكية متنوعة

عندما نفكر أحوال الكواسي في مجتمعاتنا سنتكشّف لنا إضطرابات الشخصية الفاعلة والمتسببة بتفككها سلبية في

وفي المجتمعات المتأخرة ما أن يلامس مقعد الشخص الكرسي حتى إكتسب القدسية والمعصومية من الخطأ وصار حالة فوق البشر , لا يمكن النظر إليها بإستقامة وإستفهام , لأن في ذلك إعتداء وعدم إحترام , بل وعدوان.

ولو قرأنا التاريخ بعيون أخرى لوجدنا الكثير من الأحداث والتداعيات قد نجمت عن خلل في القوى العقلية وبسبب إضطرابات نفسية وسلوكية متنوعة.

ويبدو أن للخرف أو بداياته الدور الكبير في الأحداث الصعبة التي عانت منها البشرية على مر العصور والأزمان , وكذلك الكآبة والهوس وغيرها من الأمراض والإضطرابات التي تصيب العقل والنفس وتؤثر في مسيرة الحياة.

وعندما نقرأ أحوال الكراسي في مجتمعاتنا سنتكشف لنا إضطرابات الشخصية الفاعلة والمتسببة بتفاعلات سلبية في المجتمع.

ولهذا تجد الفرقة قائمة ما بين المختصين بالعلوم النفسية والكراسي , خوفا من إكتشاف عاهاتهم وتشخيص إضطراباتهم وآفاتهم العقلية الفاعلة فيهم وفيما حولهم.

وكثيرا ما تطغى الأوهام والهذيان على ذوي الكراسي الفاعلة في المجتمعات المتأخرة , وكذلك التصورات والرؤى الآخذة بهم إلى مسافات خارجة عن مساحة الواقع الذي يتحركون فيه.

ولهذا تجد المجتمعات المبتلاة بذوي العاهات النفسية واللوات العقلية في الدرك الأسفل من العصر , وما يدور فيها كالتي نكثت غزلها.... , فلا بناء ولا تفاعلات إيجابية ذات قيمة حضارية.

فهل لنا أن نضع في الكراسي كل ذي عقلٍ سليم!!!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa302-240521.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار التاسع)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 18 على الوجود

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

اهداء العضوية

- عضوية " الشريك الراسخ في العلم " (عضوية فخرية)

- عضوية "الشريك المُمَيِّز " (عضوية الشرفية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

الفرقة قائمة ما بين المختصين بالعلوم النفسية والكراسي , خوفا من إكتشاف عاهاتهم وتشخيص إضطراباتهم وآفاتهم العقلية الفاعلة فيهم وفيما حولهم

تجد المجتمعات المبتلاة بذوي العاهات النفسية واللوات العقلية في الدرك الأسفل من العصر , وما يدور فيها كالتي نكثت غزلها.... , فلا بناء ولا تفاعلات إيجابية ذات قيمة حضارية

هل لنا أن نضع في الكراسي كل ذي عقلٍ سليم!!!